MERS
MIDDLE EAST RESEARCH AND STUDIES

Source : AN-NAHAR
Date : 2-12-93
Photo No. : 128

النزوع إلى الندّية

قبل ايام، استقبلت بيروت السينمائي الفلسطيني الكبير ميشال خليفي، صاحب "الذاكرة الخصبة"، و"عرس الجليل"، فكانت مناسبة لاكتشاف (او اعادة اكتشاف) عمل ابداعي يمتاز، الى جمالية ساحرة ولغة شديدة الحساسية، بنظرة سياسية حضارية قائمة على استعادة الندية المفقودة في الصراع العربي – الاسرائيلي، وصولا الى اجلاء قدرة عربية على التفوق. فالندية هي تحديدا ما عناه ميشال خليفي عندما قال، في لقائه مع الجمهور البيروتي، انه لا يحتمل، مثلا، فكرة المبادلة بين جثة اسرائيلي والمئات من المعتقلين العرب.

* * *

تلك الندية كانت دوما مفقودة في الصورة العالمية العامة (وهي صورة غربية قبل كل شيء) للصراع العربي – الاسرائيلي. لكنها كانت مفقودة ايضا في طريقة ادارة الصراع من طرف العرب، لاسيما بعد هزيمة الناصرية. وكانت تاليا مفقودة في المساعي الآيلة الى تسوية هذا الصراع، منذ النصف الاول من السبعينات. كان يحصل احيانا، في لحظات شديدة الكثافة، كحصار بيروت او اندلاع الانتفاضة، ان يظهر الفلسطيني كندّ كامل، اذا جاز التعبير، للآخر الاسرائيلي، لانه نجح ميدانيا في عزل هذا الآخر، فرديا وانسانيا، عن ماكينة الحرب الاسرائيلية. لكن سرعان ما كانت علاقة الندية تعود فتختل امام موازين القوى الاقليمية والعالمية.

لماذا التحدث، الآن، عن الندية؟ لأن الاحداث في الاراضي المحتلة تُظهر شيئا من هذا القبيل. فخلافا لمعظم التوقعات، لم يأتِ البحث في تطبيق اتفاق الحكم الذاتي الفلسطيني انعكاسا لميزان القوى فحسب. قد يكون غلب اختلال علاقات القوى على اداء الطاقم الفلسطيني المفاوض (وقيادة منظمة التحرير). الا ان التفاعلات الميدانية، المتأتية على الارجح من عدد من التناقضات الفرعية، الاسرائيلية – الاسرائيلية والفلسطينية – الفلسطينية، افضت الى اعادة شيء من التساوي بين الطرفين الاسرائيلي والفلسطيني، وهي ظاهرة تستفيد منها القيادة الفلسطينية، وان لم تكن المسؤولة عن بروزها. هكذا صرنا نرى رئيس الحكومة الاسرائيلية يتصل بالرئيس ياسر عرفات ليطمئن منه حول ديمومة الاتفاق.

ليس مؤكدا، بالطبع، ان يستمر النزوع الى التساوي وان تستقيم علاقة الطرفين ندية مكتملة. فلذلك شروط عديدة ليست الا في جانب منها فلسطينية. من هذه الشروط ان تستخلص قيادة المنظمة الدرس فتلحظ في ترسانتها التفاوضية مكانا لهذا العامل المتشكل من صلابة الموقف الشعبي الفلسطيني من جهة ومن حاجة الحكومة الاسرائيلية الماسة الى تجاوز المعترضين على الحكم الذاتي الفلسطيني من جهة اخرى. لكن من شروطها ايضا ان تستطيع هذه القيادة الاطمئنان الى غياب المهاترات المجانية من قبل هذا الطرف العربي او ذاك، وايضا من طرف الجهات الفلسطينية التي لم تعد تقيم اي حساب للواقع.

وقتئذ، يصبح ممكنا الانتقال من البحث عن الندية في الصراع العربي – الاسرائيلي بمعناه المادي الى البحث عن ندية، وربما عن تفوق، في المعنى الحضاري لهذا الصراع، بما يعني لزالة ما في السلام الآتي من اجحاف.

سمير قصير